# القواعد المُثلى في بناء الإنسان والدول

شرح حديث عبد الله بن سلام Z

في كلمات رسول الله T الأولى لما قدم المدينة النبوية

حقوق الطبع لكل مسلم صادق راغب بالتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ
دفاعاً عن العقيدة والتوحيد والمنهج الصحيح
فجزى الله خيراً كل من يطبعه ويُوزعه
والدال على الخير كفاعله

الطبعة الأولى
١٤٣٣ – ٢٠١٢م

النور للإعلام الإسلامي
Al Nur Islamic Information
Vesterbrogade 208 Box: 276 – 1800 Frederiksberg C. Denmark
Phone: (45) 2077 4828. E-mail: alnur1@hotmail.com

فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وبالجملة فالسلامة من الخطر، أمرٌ يعِز على البشر، فسترَ الله على من ستر وغفرَ لمن غفر:

فَـانْظُرْ إِلَيْهَـا نَظَـرَ الْمُسْتَحْـسِنِ ... وَأَحْـسِنِ الظَّـنَّ بِهَـا وحَـسِّنِ
وَإِنْ تَجِـدْ عَيْبـاً فَـسُدَّ الخَلَـلاَ ... فَجَـلَّ مَـنْ لاَ فِيـهِ عَيـبٌ وَعَـلاَ
وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى مَـا أَوْلَـى ... فَـنِعْمَ مَـا أَوْلَـى وَنِعْـمَ المَـوْلَى
ثُـمَّ الـصَّلاةُ بَعْـدَ حَمْـدِ الـصَّمَدِ ... عَلَـى النَّبِـيِّ الْمُـصْطَفَى مُحمَّـدِ
وَءَالِـهِ الأفَاضِـلِ الأخْيَـارِ ... مَـا انْـسَلَخَ اللَّيْـلُ مِـنَ النَّهَـارِ[1]

[1] الأبيات من «ملحمة الإعراب» للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري. (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ / ١٠٥٤ ـ ١١٢٢ م).

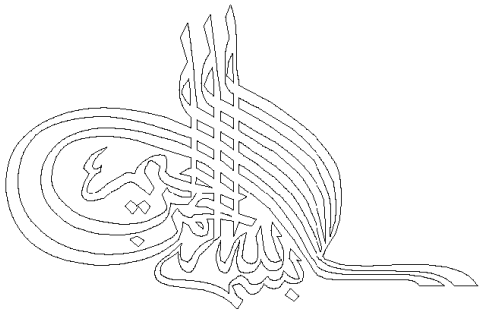

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى صحبه أجمعين. أما بعد:-

فعن عبد الله بن سلام Z قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ T الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ - أي تجمَّع - النَّاسُ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ T، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ T عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنْ قَالَ:-

**«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ»**.

رواه الترمذي ٧/٢٠٠/ح٢٥٣٤. وقال: هذا حديث صحيح، ورواه أحمد ٦/٦٣١/ح٢٣٣٩٩، وابن ماجه ١/٤٢٣/ح١٣٧٥، ٢/١٠٨٣/ح٣٣٢٩، والدارمي ١/٣٤٠/ح١٤٦٧، ٢/٢٧٥/ح٢٦٣١.

كلهم من طريق عَوْفٍ بن أبي جميلة الأعرابي عن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عنه. والحاكم في «المُستدرك على الصحيحين» ٣/١٤/ح٤٣٣١، ٤/١٧٦/ح٧٣٥٥، وصححه ووافقه الذهبي.

☆☆☆☆☆

# تمهيد

فهذا حديثٌ جليلُ الشأنِ عظيمٌ في بيان أساس بُنيان المدينة النَّبويَّة، إذ فيه أول كلمات قالها النَّبيُّ T لما أشرقتْ وتنورتِ المدينة بقُدومه، وإنما تعرف عظمة القواعد الأُولى من خلال النهايات الباسقة العظيمة، ولما كانتِ المدينة النَّبويَّة هي أساس المَدنية الإسلامية، ومجتمعها هو أساس المُجتمعات المُؤمنة، وقواعدها هي قواعد الحياة التي يحبها الله لِعَبِيدِه، فإنَّ هذه المدنية النَّبويَّة قد قامت على هذه الكلمات العظيمة التي شكلت قاعدة حياة مجتمع الصَّحابة ﷺ، فكل ما حصل فيها مِن الخير إنما مُنطلقه متانة القواعد، فكل ما نما من خيرٍ لغيرها مِن المُدن إنما وقع بسبب أصالة هذا الخير في المدينة النَّبويَّة، وهي كلمات شكلت بناء الإنسان المُؤمن الذي يستحق وُلُوجَ الجِنان، وحين حصول هذا الاستحقاق فإنَّ ما وراءه سهلٌ ميسورٌ في هذه الحياة الدنيا، ذلك لأنَّ أهل الجنَّة إنما هم أهل العِزَّة الإيمانية، وهم أهل التأييدِ والنَّصر الربِّاني.

لقد كانت هذه المدينة العظيمة محطَ النظرِ الإلهي، ففيها يتنزل الوحي، وفيها يُتلى، وفيها تتعاقب ملائكة الرحمن على المُصلين والذاكرين والمُتصدِّقين، فإنها وإن كانت فقيرة في المال فإنها غنيةٌ بالطاعات والأعمال، وإنها وإن كانت ليالي أهلها بلا سُرُجٍ مادية إلاَّ أنها مُنوَّرَةٌ بالصلاة والدعاء والذكر، كما كان لحمة أهلها الحب والتواصل بلا حسدٍ ولا حِقْدٍ ولا تنافسٍ على الدنيا.

لقد كانت هذه الكلمات النَّبويَّة العظيمة مُتوجهة إلى الإنسان باعتباره فرداً وإلى الإنسان باعتباره جزءاً مِن كلٍّ، وكانت كذلك هادية لدرب هذا الإنسان إلى السعادة الحقيقة، وهي السعادة الأبدية بعد الموت بدخول الجِنان، كما كانت هذه

الكلمات حاوية لأُسس المُدن السعيدة التي تستحق البقاء والدوام، كما تستحق الوِراثة والقيادة للإنسان والعالَم.

لقد أرستْ قواعد الأمان الاجتماعي والأمان الاقتصادي، ووَجَهَتْهُ إلى أعظم ما في هذا الوجود، وهو أمان الله تعالى بحُسْنِ العلاقة بين العبد وبينه، وهذا هو مصدر السلام الوجودي كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

بهذه الكلمات الجليلة كانتِ الخُطبة النَّبويَّة الأولى لهذا المجتمع الجديد الوليد، إذ وجههم إلى أنفسهم، وحملهم همَّ قضية التغيِّير، فلم يصنع ما يصنع اللاَّغون مِن حمل الوعود إليهم، فليس هم إلاَّ بأنفسهم، فعليهم إنْ أرادوا الجِنانَ وما يسبقها مِن الفَوْزِ أنْ يسعواْ هم، وأن يبذلوا جُهدهم همْ، ولذلك كانت هذه الكلمات دالة أنه جاء ليأمرهم ويرشدهم ليعملوا ويجتهدوا ويبذلوا، فيُنفقون طاقتهم، ويسهرون جُهدهم، وهذا هو سبيل الهُدى النَّبوي لا ما يفعله جهلة اليوم من الذين يُسَوِّقُونَ أنفسهم للنَّاس أنهم يملكون العصا السحرية للتغيِّير، وكأنَّ الأُمَّةَ مفعولاً به لا فاعِلاً، فيستمع النَّاس لهم وقد امتلأت جوانحهم بأحلام الغد الذي يحمله هؤلاء السحرة فيرجعون إلى بيوتهم بلا تكاليف ولا عزائم جديدة، وتمضي الأيام ولا يبقى من هذه الخُطب إلاَّ الكلمات الفارغة التي لم تحقق إلاَّ وَهْماً وكسلاً.

إنَّ هذه الإرشادات النَّبويَّة ميزانٌ يُقاسُ به صِدق الدَّعاة والمُصلحين، فمن لا يُدَنْدِنْ حولها فهو مُبْطِلٌ، ومَن سار بالنَّاس على غير هَدْيِهَا وسبيلها فإنما هو مُتقفر طُرُقِ الهُدى والخُسران، كما إنَّ هذه الكلمات هي مقياس معرفة أُولئك الذين يقفون على أبواب المُدن عارضين أنفسهم للقيادة الرشيدة التي تحقق لإنسان هذه المُدن السعادة، لأنَّ زماننا قد شَهِدَ زحمةً كُبرى في هذا الباب، وقد صار أسهل ما يتقمصه أهل صناعةِ الكلمات ما يُقال له العمل السياسي، وقد

تماهى المسلم مع غير المسلم في ما يقول ويدعو إليه، واتحد أمرهما حتى إنك لا تميِّز بين إبليس وغيره، ولا بين كافر ومسلم، وبمجرد ذِكْرِ الآخرة والجنَّة والنَّار يعني أنَّ صاحبنا لم يعد مُصْلِحاً سياسياً ولا مُصْلِحاً اجتماعياً بل هو مجرد واعظ مسجد، وما أسرع أن يُقال له: كُفْ عن هذا فلسنا في خطبة جمعة، أو لسنا في موعظة دينية، ولذلك غاب الإيمان عنِ الذِكرى، وغابت معالمه في خطاب المُصلحين المسلمين!! ـ زعموا ـ ونسوا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

النبي T وهو سيد المُصلحين، وإمامُ دُعاةِ الخير، وهو خيرُ مَن أَقامَ مجتمعَ الخير والأمن والسلام عَلَّم المهتدين والمُقتدين بأثره أن يجيِّشُوا النَّاس وراءهم تحت دعوةٍ واحدةٍ، وتحت وعدٍ واحدٍ لا غير: الجنَّة، فالآخرة هي الأصل، وكل خيرٍ إنما يكون خيراً وصلاحاً بسبب ارتباطه بهذا الوعد الإلهي، وإنْ خلا العمل من هذا الارتباط كان وَبَالاً وفساداً وضلالاً حتى لو كان على صورة الخير كما قال تعالى في أمثال هؤلاء الذين يعملون من غير ذِكْرَى الدار الآخرة: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فهل يجرؤ دُعاة بناء المدنية الإسلامية اليوم أن يقولوا في خطابهم السياسي والاجتماعي ما قاله رسول الله T في خطابه الأول حين دخل المدينة ليبنيها بناء الإسلام ويقودها على هدي القرآن؟.

إنْ تفكرتَ في هذا علمتَ سبب التأييد الإلهي للرسول T والمُقتفين أثره، ولماذا أطلت المدينة غيرها من المدن، ولماذا صار رجالها هم صُناع التاريخ وبُناء الحضارة، ثم علمت كذلك لماذا يرتكس زاعمُو الإصلاح اليوم في وِديان الذلة والمهانة، ولم يزد أمرهم إلاَّ تقليد الكافرين في دينهم في معرفة ما هو الصلاح والفساد في الوجود.

المدينة النَّبويَّة مدينةُ الطاعات الإلهية، ومدينةُ الدين ولأنها كذلك فإن الإنسان فيها حبيبٌ لأخيه المسلم قولاً وفِعْلاً، قلباً وقالِباً، وهو كذلك عابدٌ لربِّه مخْبِتٌ له في السرِّ قبل العلنِ، وفي الليل كما في النَّهار، وهو في سعيه ذلك إنما عينه على تحقيق الرضى الإلهي ودخول الجِنان.

إنهم يقولون اليوم في زماننا الكثير، وكل ما يقولونه إنما ينشأ عندهم من غير نَبْتِ حبِّ الدار الآخرة لكنهم يأتون إلى كتاب الله وسنة رسول الله T ليتخذوا منه حُلية زائدة لما يقولون ويفعلون، فلا عجبَ أن تجد مؤسسة أمنية مجرمة ؛ تقتل المسلمين المجاهدين، وتُعذب الدَّعاةَ الموحِّدين، وتخدم المجرمين والطواغيت والمُشركين تتخذ شعاراً قرآنياً لها، كما إنك تجد مؤسسة علمية أُخرى لا علاقة للرئيس فيها ولا المرؤوس مع الدار الأُخرى، ولا لهم رغبة بالجِنان، ومناهجها جاهلية إلى النُخاع وهي مع ذلك تزين شعارها بآية قرآنية تحض على العلم والتعلم، ولذلك صار الدين تابعاً أسيراً، كما توزعت خيراته التي أتى بها فروعاً لأصل إرضاء الله ودخول الجِنان إلى أشلاء ميتة بين أيدي أُناس لا يُقِيمُونَ لدين الله شأناً.

هذا التنازع على هذه الأشلاء الميتة لانقطاعها عن الأصل أصاب العاملين لإصلاح العالم الإسلامي من رافعي شعار الإسلام، ودليل ذلك قبولهم الدخول في نفس النسق الذي تحكمه الجاهلية، فلا يجوز في أُسس هذه الجاهلية أن تُعلن في برنامجك الاقتصادي حُرمة الربا لأنَّ فيه محاربة لله ولرسوله T ، ولا لأنه يحقق المحقَ الإلهي، بل لك الحق أن تضع في برنامجك الاقتصادي ما تحب من ذلك كحرمة الربا لكن على أساس قواعد الجاهلية في قطع هذا كلِّه عن الآخرة وحبِّ الله أو بُغْضِهِ، ولذلك صار الخلاف بين الإسلام وغيره من الجاهلية والكفر مَنْسِياً بسبب هذه الظاهرة الخطيرة، ولم يعدِ النَّاس في بصيرةٍ من أمرهم في معرفة حقيقة الفريقين، لأنَّ الخلاف بينهم في ما يُعرض بسبب انحراف «دعاة الإصلاح

تحت مظلة الجاهلية» صار شكلياً، ودُنيوياً بحتاً لا وجود لاسم الدين فيه، ولا لاسم الله ولا للغيب ولا للدار الآخرة، فهل بعد ذلك كله يحق لأحدٍ أن يسأل لماذا يرتكس هؤلاء في وِديان الذلة والفشل، ولماذا ترتد تجاربهم عاراً على الإسلام والمسلمين؟!.

لقد ذهبَ هؤلاء بعيداً عن جوهر الخلاف بين الإسلام ومُخالفيه، بل إنَّ الكثير من الأحزاب الإسلامية قد زحفت إلى مواقع العلمانيين لا لترثها هداية لأهلها بل لتنافسها في وراثة دينها وجوهرها، ولذلك فلا عجبَ أن يُطالب بعض الغيورين فيها ممن فيهم بقايا دين لهذه الأحزاب «السياسية» أن يلتزموا بالأحكام الشرعية في ما يخص سلوكاً مشيناً لنساء هذا الحزب في إحدى الاجتماعات فتنبري له ابنة رئيس الحزب[1] التي لبستْ لباساً يمثل حالة هزلية لشعار الجمع بين «الأصالة والمعاصرة»، فهو في أَصالته سابغٌ، وفي معاصرته شافٌ لما تحته لتقول لهذا المسكين المُتدين!!: «نحن هنا في حزبٍ سياسيٍّ ونرفضُ أن تعيدنا أنتَ وأمثالك إلى القرون الوسطى».

مسكين هذا «المُتديِّن» لأنه لم يعلم أنَّ الجماعة ذهبوا بعيداً، وكم كنتُ أتمنى من هذا «المُتديِّن» أن يُطالب بوضع توصية في هذا المؤتمر لتحض أتباعه على قِيام الليل حتى نرى بسمات السُخرية وضحكات الاستهزاء كيف ستنطلق من هؤلاء المجاهدين في هذا الحزب العَتيد، ودعوني أذهب في الحُلم بعيداً فأتخيل ما لو طلب هذا «المُتديِّن» أن يخصص في اجتماعات الحزب وقتاً للحديث عنِ الجنَّة والنَّار وعذاب القبر، وسأترك للقارئ تخيل ما سيصنعه هؤلاء «المُثقفون» الذين يريدون إعادة الإسلام إلى حياة النَّاس وقيادتهم.

[1] إنه حزب النهضة التونسي، ورئيسه راشد الغنوشي. وصاحبة الكلام ابنته، وحصل هذا في أحد مؤتمراتهم ببريطانيا.

إنَّ الدعوة الجامعة لتيارات العمل الإسلامي بإحياء الإسلام وتجديد الدين وفتح باب الاجتهاد، والعودة للكتاب والسنة هي مجرد شعارات يقفِ الكثير من أصحابها على تجديد الورق والحرف، وعلى إحياء حرب الكلمات بين الفِرَقِ التي لم يَعُدْ لها وجودها إلا مجرد انتساب «قبلي» عند مؤسسات وطوائف تعتاش وتأكل من هذا الانتساب، وهي دعوة عند كثيرين لا تعني أبداً إلاَّ مجرد مفتاح للوُلُوجِ إلى عالم لا يمتُ إلى الدين والتديُّنِ بصلة، بل هو فتحٌ لِباب التشهي النفسي والاستحسان العقلي للقَوْلِ على الله وعلى دينه ما ليس فيه، مما يصنع ديناً خاضعاً لقانون العصر الذي يعتمد على الشهوة واللذة والمصالح الدنيوية والذاتية، إذ عامة أتباع هذا الفريق لا يعلمون شيئاً عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله T، بل جل اهتماماتهم قراءة «فكرية» بدأت من وسط إسلاميٍّ مُقاربٍ ووصلت إلى المحيط العلماني ورُؤيته للدين ومهمته في هذه الحياة، فتضلعوا من قِيحِهِمْ وصَدِيدِهِمْ فلم يبقَ بينهم وبين الدين إلاَّ صلة الاسم والدعوى والشِعار، ولذلك فلا عجبَ أن يصل رأس الخط البيَّاني في الفساد عندهم أن يدخلوا في دين المُشركين والكافرين الذين أفسدوا العِباد والبلاد.

هذا الصراع بين فريق الحرف والورق والأحزاب القبلية القديمة، وبين وفريق «الإسلام العصري» هو ما يتجاذب الوسط الإسلامي، ولا يقع المرء الذي يريد دين الله إلاَّ في أحد الفريقين فلا يصدر بعد ذلك إلاَّ القليل ممن يأخذ هذا الدين من مصدريْهِ، فيقبل بقلبه وعقله على الكتاب والسنَّة من خلال منهج الصحابة ووُرَّاثِهِمْ، ويذهب في هذا الباب بكله وبجدٍ وإصرارٍ، داعياً ربَّه أن يُوفقه للحقِّ، وأن يهديَّهُ لأرشد أمره وأن يُبصره سواء السبيل.

إنَّ هذا الأمر جِدُّ خطيرٍ ويحتاج إلى إخلاصٍ في القَصْدِ، واستعانةٍ مُتواصلةٍ، وعقلٍ بصيرٍ، وقراءةٍ لا تتوقف، وثقةٍ تامةٍ بما كان عليه الصحابة والتابعون لهم، وأن لا يقول قولاً يلقى به وجه ربِّه حتى يحيط به إحاطة العالم البصير الراسخ،

ثمَّ عليه أن يخلع رِدَاءَ التقليد للمُعاصرين، فإنْ كان لا بدَّ من تقليدٍ فإنَّ تقليدَ الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم خيرٌ من تقليد هؤلاء الصغار الذين هم كالبقل مُقابل أشجار العِلْمِ الباسقة، ويحيط ذلك كله بأن لا يخاف إلاَّ الله في قول الحق، وأن تكون الآخرة بين عينيه في كل حالٍ، فإن حصل لك هذا فإنه يُرجى لك النَّجاة بإذن الله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

## قوله T : «أَفْشُوا السَّلَامَ»

هذه هي القاعدة الأُولى في بناء المجتمع الإسلامي، وبها يتحقق الأمن الاجتماعي، وذلك من خلال نشر الحبِّ بين أفراد هذا المجتمع، ولتحقيق هذا المقصد فلا بدَّ من إعلان هذا الشعار بين أهله، يتداولُونه في كلِّ لقاءٍ وعند كلِّ فِرَاقٍ، فلا يَلقى المرء أخاه إلا بهذه الكلمة العظيمة: «السلام عليكم»، ولا يُفارقه إلاَّ بها، فليستِ الأُولى بأحق من الثانية كما قال رسول الله T : «**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ**»[1].

لقد عَلَمَ رسول الله T طريق بناء هذا الحب، والذي هو فوقَ الأمان وأعظم منه فقال: «**أفشوا السلام بينكم**» ولذلك كان من فِقْهِ الصحابة في إفشاء السلام لتحقيق هذا الأمر أن يُسلم أحدهم على الآخر حتى لو عرضت بينهم شجرة أو جِدار أو حجر، ذلك لأنَّ كلمة الإفشاء تعني النشر والبث في كلِّ جوانب الحياة.

إنَّ السلام أمانٌ بين النَّاس، وقد ألقى الله في هذه الكلمة من الخير ما لا يعلمه إلاَّ هو، ويكفيها فضلاً أنَّ الله هو «السلام» كما في الحديث الشريف عند البخاري[2]: «**لا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**». وعند الطبراني[3]:

---

[1] «سنن الترمذي»: ٧/ ٤٥٠/ ح ٢٧٧. بزيادة: «.. **فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ**..». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. وَقَدْ رُوِيَ هذَا الْحَدِيثُ أَيضاً عن ابنِ عَجْلَانَ عن سعِيدِ المَقْبُرِيِّ عن أَبيه عن أَبي هُرَيْرَةَ عن النبيِّ T. «سنن أبي داود»: ١٤/ ١١٦/ ح٥٢٠٣. «السنن الكُبرى للنسائي»: ٦/ ١٠٠/ ح١٠١٠٦. «مُسند أحمد»: ٢/ ٤٥٨/ ح ٧١٢٢. «صحيح ابن حبان»: ١/ ٢٥٦/ ح٤٩٤، ٤٩٥.

[2] «البخاري»: ١/ ٢٨٧/ ح٨٢٦.

[3] «معجم الطبراني الكبير»: ١/ ١٨٢/ ح١٠٣٩١.

«**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وُضِعَ فِي الأَرْضِ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ**»، ولذلك كان رسول الله T يقول كما عند مسلم[1]: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ**».

وإنَّ من فضائل هذه التحية أنْ جعلَ بذلها مع بذل الطعام هو خير ما في إسلام المرء لقوله T وقد سُئل: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ**»[2]. وبهذا جعل رسول الله T ما يُبذل من كلمات بين المؤمنين في حالٍ واحدةٍ مع بذل الطعام لهم، لأنَّ كِلاهما نافعٌ بينهم وعلى معنًى واحدٍ من تحقيق إرضاء الله تعالى وتقوية أواصر الحبِّ بينهم، ذلك لأنَّ المجتمعات والحضارات والدول لا تنهار من خارجها كما يشهد لذلك التاريخ، إنما يكون الانهيار من داخلها، وتفككها بانتشار القطيعة والتنافس والحِقد والحسد والبغضاء يُؤدي إلى زوال هذه المجتمعات مهما كان أمرها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومن فضائل هذه التحية أنها تُبذل على وجه التواضع للإخوان والآخرين، ولذلك ثبت عنه T سنة تسليم فقال T: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ**»[3].

فالسلام الذي هو أمانٌ بين النَّاس، ووسيلة نشر الحبِّ لدخول الجِنان، وباب تواضع بين المسلمين فهو يحقق وِلاية الله للعبد لقوله T: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»[4]، هذا مع حصول الحسنات ففي «السنن» عن عِمران بن حُصَيْنٍ Z قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ T فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ T: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم

---

[1] «مسلم»: ١/٧٤/ح١٢٨٥، ١/٧٥/ح١٢٨٦.

[2] «البخاري»: ١/١٢/ح١٣، ١/١٩/ح٢٨. «مسلم»: ٢/٩/١٢٣.

[3] «البخاري»: ٥/٢٣٠١/ح٦٢٣١. أطرافه ٦٢٣٢، ٦٢٣٣، ٦٢٣٤.

[4] «سنن أبي داود»: ١٤/١٠٣/ح٥١٩٢.

وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: «**ثَلاَثُونَ**»[1].

فهذا الركن العظيم في بناء المجتمع المسلم الذي يحقق رضى الله تعالى، وهو صناعة باطن الإنسان المُسلم وتزكيته من خلال تزكية صِلاته اللفظية بينه وبين إخوانه، والسلام هذا شعارٌ، والشعارُ يعني أنَّ وراءه معاني وأعمال أُخرى هي من بابه، فأول ما تُفيد هذه التحية التي لا يتكلم المرء مع إخوانه كلمة قبلها، بل يبتدئ بها أنَّ المسلم حَسَنُ اللفظ، إذ بها يفتتح حسن الحديث، هذا مع ما يُرافقها من قوله T: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[2].

فإنَّ المرء لا يتصور منه أن يبدأ إخوانه باسم الله تعالى، وبتأمينهم وتواضعه لهم ثمَّ يخِيسُ ذلك كله فيما بعد، بلِ المرء إنْ كان مطلعه حسناً كان ما بعده حسن كذلك، ولذلك لما يقوم إنما يقوم بهذا الحسن الذي دخل فيه ـ أي بكلمة: «السلام عليكم».

ما يُقابل الأمان هو الخوف الذي يصنع القطيعة والتدابر والحذر المرَضي المُفضي للقِتال والهُجران، ويُقابله كذلك الشك الذي يُؤدي إلى الفِتن وخَراب الأُمم.

هذه التحية العظيمة هي منهج حياة المسلم مع إخوانه إذ يندرج تحتها كذلك الصِدق في القول، وأمانة العهد، وحِفظ الحقوق، وصِيانة الأعراض، ورد العدوان عن الإخوان، ونُصرة المظلوم.

وهي شعار العلاقة بين المسلمين، فإن رفعها من أحدهم يعني موقفاً سلوكياً مُغايِراً لما هو مطلوب، ولذلك قال أهل العلم: إن من هدي النبي T ترك

---

[1] «سنن أبي داود»: ١٤/١٠٢/ح٥١٩٠ . «سنن الترمذي»: ٧/٤٣١/ح٢٧٥٩ . وقال: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِنْ هذا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ. «سنن الدارمي»: ٢/٢٧٧/ح٢٦٣٩ .

[2] «سنن الترمذي»: ٦/٦٣/ح١٩٦٣ . وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ

السلام ابتداءً ورداً على من أتى شراً وفساداً أو بدعةً أو حدثاً حتى يرجع عن ذلك، واستدلوا بما وقع منه T مع كعب بن مالك الأنصاري Z في حادثة المُخلَّفين، إذ كان كعب يسلم على النبي ويتعمد أن يصلي خلفه فلا يدري كعب هل حرك رسول الله T شفتيه برد السلام أم لا.

ولما كانت كذلك فإنَّ المُسلم لا يبتدئ الكافر بالسلام كما أمر بذلك رسول الله T بقوله: «**لا تَبْدَأُوهُمْ بالسَّلاَمِ**»[1]، وهذا قول أكثر أهل العلم، وقال آخرون إنما قال رسول الله T هذا وهو مُتوجهٌ إلى بني قريظة فقال لأصحابه ﷺ: «**لا تَبْدَأُوهُمْ بالسَّلاَمِ**»، وقد جاء في الحديث: «**لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوه إِلَى أَضْيَقِهِ**»[2]. وهو لفظٌ عامٌ يُفِيدُ حُكْماً عاماً، والله أعلم.

هذه التحية وهذا الشعار ليس مِن نافلة القول الحديث عنه، لأنك ستجد من بني قومك ممن يزعمون الفقه والنظر لا يُقيمون لهذه الأمور شأناً بحجة أنها قُشور!، وأنها من زوائد الحياة لا مِن أُصولها، وللردِّ على هؤلاء يحتاج إلى فتح أبوابٍ كثيرةٍ لكن يكفي هؤلاء غلطاً أنهم جهلة في الدين وجهلة في الحياة وسننها، أما جهلهم في الدين فواضحٌ بيِّنٌ، وذلك بالمُقارنة بين ما يقولونه وما يقوله رسول الله T، وهم في هذا الجهل يغيب عنهم قيمة «الحسنة» التي هي مفتاح الجِنان، ولغياب هذه القيمة من قلوبهم فلو قيل لأحدهم: لك في هذه الكلمة عشر حسنات لَما نَشِطَ لهذا الفعل، والمسألة مسألة قلوب، وما تحب وما تكره، فإنَّ المرء يندفع إلى ما يحب ويرغب، وإلى ما يؤمن ويُصدق، أما جهلهم بالحياة وسننها فإنَّ أهم ما يجب على المرء أن يتعلمه في هذه الحياة هو كيفية حسن

[1] «سنن أبي داود»: ١٤/١١١/ح٥٢٠٠.
[2] «مسلم»: ١٤/١٢١/ح٥٦١٥.

التواصل مع الآخرين، ومما هو معلومٌ أنَّ هذا الفن هو باب كلِّ فُنون الحياة وأعمالها، واتقان المرء لهذا الفن هو مقياس نجاح المرء أو خسارته.

ثمَّ إنه مما يُعلم أنَّ البشر منذ أن عُرِفوا إلى يومنا وهم يبذلون في الحفاظ على كِيانهم ووُجُودهم الجهود الكثيرة ليتحقق لهذا الكيان والوجود التميُّز عنِ الآخرين، وإنَّ من أعظم ما يحقق هذا التميُّز هو لفظ التحية، ولذلك كانت كلمة «السلام عليكم» إعلان هُجرانٍ لمجتمع الجاهلية ودينها، وذلك من خلال هُجران تحية الجاهلية، وتمسك المسلم بهذه التحية هو إعلانُ تمسكِ المرء بمنهج، خاصة عند وجود الصراع بين المناهج، وعندما يُصبح وجود المسلم وهويته مُهددة من قبل الآخرين.

قد يقولون: هل هذا ما ينقص الأُمَّة؟ الجواب: إنَّ الأُمَّةَ قد تناثر أفرادها وتحطمت أوعيتها الجامعة، وتشوهت هويتها، ولذلك لا بدَّ من ترميم هذا كله من خلال هذا الإعلان التي يسمونها مظاهر والتي تُعَدُ كالصُّوى[1] التي يتجمع حولها أصحاب المبدأ الواحد.

إنَّ هؤلاء الذين يحقرون هذه الأمور هم أنفسهم يعبِّرون عن انحيازهم لثقافة الجاهلية المعاصرة وابتعادهم عن التخلف ـ كما يزعمون ـ من خلال مظاهر سلوكية ولَفظية، فإنَّ الأديب الكاتب المُثقف اليوم لا يتوانى في دسِّ المُصطلحات المُستوردة، أو كلمات الانحياز الجاهل في كلامه تعبيراً عن موقفٍ له، وعن دين يتبعه، وهو في هذا كذلك يُعْرِضُ بإرادةٍ مُسبقةٍ عن تحية الإسلام إن دخل أو خرج لأنه يعتبر أنَّ التمسك بها هو إعلان هويةٍ وتمسكٍ بطريقةٍ وانحيازٍ لدينٍ أو لثقافةٍ.

---

[1] الصُّوى: الأعلامُ، واحدها: صُوَّةٌ، وهي أَعلامٌ تُنْصَبُ في الطريقِ لِيُهْتدى بها. «ذكر الفَرق بين الحروف الخمسة»: ص١٢٩. لابن السِّيْد البطلوسي.

إنك تستطيعُ أن تحكمَ على قلب المرءِ وعقله، وعلى منهجه ودينه من خِلال شعاراته السلوكية واللفظية، وهو كذلك يريد ذلك ويقصده، وأما مَن لا يُريد ولا يقصد فكفاه أن يُقال فيه أنه مغفلٌ سقط في خِداع الآخرين وصار جزءاً منهم وهو لا يشعر ولا يَدري.

الأُمَّة لا يمكن أن تنطلق إلى الآخرين إلاَّ بأمورٍ عِدَّةٍ أهمها قوة البناء الداخلي وثانيهما تميّز هذه الأُمَّة عنِ الآخرين، ذلك أنَّ الضعف الداخلي يعني جاهزية هذه الأمة للغزو والاستلاب، والتاريخ يُعلم العقلاء أنَّ الشعوب والحضارات لا تعرف السكون، وأنَّ التاريخ لا يعرف التعادل الساكن بلا صراعٍ بين القِوى، ولذلك فإنَّ الأُمَّةَ التي لا تذهب إلى الآخر هي أمة ستُسلب وفيها جاهزية السلب كذلك، وأنَّ خيرَ طريقةٍ لدفع هذا هو الانطلاق، أما الاستجابة التي وقعت في عقول المسلمين اليوم لدعوى السلام العالمي واحترام مبادئ العيش المُشترك أي التعادل الساكن فإنَّ هذا لا وجودَ له، ومَن آمن به ممن نفى جهادَ الطلب من المسلمين فإنَّ واجبَ الحياة يُعلمه أنَّ هذا التعادل لا يكون إلاَّ من خلال قُوة الدفع الداخلي للأُمم والشعوب ـ أي التنافس والحضور.

أما فُقدان التميُّز فقد ينشأ مِن فَقْرِ ثقافة هذه الأُمَّةِ من أن تملأ الحياة فيضطر المجتمع إلى استيراد دين وثقافة وحياة الآخر، وإما ينشأ من خلال شعور الهزيمة أمام الآخر، بسبب تقديسه أو تعظيمه، ولذلك فهذه التي يصر هؤلاء القوم على تسميتها قُشوراً أو مظاهر إنما أوصلهم لهذه الحالة هو فُقدانهم شعور الامتلاء الذي يحققه هذا الدين لأهله، وأنه دين يستوعبُ الحياة كلها صغيرها وكبيرها، وهم في تسمية هذا صغيراً لما يأتي من ديننا نراهم يتقفرون هذه المظاهر ويتقيدون بها على وجه التقديس، فهم لا يمكن أن يخرجوا للنَّاس بلا لباسٍ مُعينٍ أو هيئةٍ ما في لباسٍ أو سلوكٍ، فإن كانت هذه مظاهر وقُشور ـ كما يقولون ـ لما كان منهم هذا التقيد الذي هو أشد مُتابعة من مُتابعة المسلم لأوقات الصلاة.

لقد حرص الآخر على هذه «القشور» عندما حمل ثقافته إلينا، وفرضَ دينه على أُمتنا، فلا عجبَ أن يكون مُترافقاً مع تدريس هذه الثقافة وُجوب لباسٍ معينٍ يُلزم الطالب أن يتقيد به، وقد اقترن بهذا الإيجاب والإلزام في أذهان النَّاس نوع الثقافة مع صورة الهَدي الظاهر للإنسان.

## «أفشوا السلام»

يعني بناء قاعدة المجتمع الصلب الذي يَطمئن أهله لبعضهم البعض، وهذه الكلمة يقولها القائد الذي تستقبله المدينة لتضع نفسها ومُقدراتها بين يديه فيسير بهم إلى مُهمات خيرِ أُمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس، وهذا يعني أنه في كلِّ ما يفعل ويقوله إنما هو سِلْمٌ لهم، وأمانٌ لحياتهم، فهو لا يدعوهم لهذا ثمَّ يسر مع الملأ الخاص به مكراً وخديعة وسلباً، بل هو أعظم وأولى من يشيع هذا السِّلم، فهو المحب لهم الرفيق بهم الحريص على أَمنهم وحياتهم وسعادتهم، وهذا المنهج النَّبوي في دعوة هذا المجتمع إلى السِّلم الداخلي للمجتمع المُؤمن هو على الضدِّ من مناهج الجاهلية الحاكمة والتي لا يدوم وجودها ولا يستقر حُكمها إلا باستثمار التناقضات والخُصومات بين هذا المجتمع، فهي لا تفتأ تُثير هذه الخُصومات واستثمارها من أجل فَرْضِ نفسها كحاجةٍ ضروريةٍ في ضبط الخُصوم وتحقيق مُعادلة التساوي بينهم، ولو أدركَ هؤلاء الخُصوم هذا لَسارعوا إلى نبذ هذه الخُصومات لمنع هذا المُستفيد من هذا الاستثمار، والحال في هذا كما كانت المدينة قبل مجيءِ الرسول T إليها، فقد كان هناك الأَوْس والخَزْرَج، وكانت بينهما خصومة وثأر يشعلها اليهود وأولياؤهم، ومن خلال هذه الحروب والخُصومات يتم النفاذ إلى مقاصدهم في هذا المجتمع، وهذا في زماننا اليوم سياسة عامة لطواغيت الكُفر الأصليين والمُرتدين، فما مِن بلدٍ إلاَّ وتجري عليه قاعدة إثارة التناقضات والخصومات حتى يتم تحصيل الهلكة والسيطرة عليهم.

ثمَّ إنَّ إفشاء السلام يقتضي المُقابلة والمحادثة مضادة للهجران والتدابر كما في الحديث: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ لَيَالٍ. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذَا وَيُعْرِضُ هذَا. وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[1]. وبهذه المُقابلة تزول الوحشة التي يصنعها البُعد، فإنْ اجتمع مع السلام المُصافحة كما هو حال أصحاب رسول الله T كما قال ذلك أنس في سؤال قتادة له: «أَكَانَتِ الْمُصَافَحَةُ فِى أَصْحَابِ النَّبِىِّ T؟ قَالَ: نَعَمْ»[2]، ولذلك قال عطاء الخراساني: «تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الغِلُّ..» كما ذكر مالك في «الموطأ»[3]. وهذا الذي قاله عطاء مجربٌ فإنه قد يجري بين الإخوان بعض ما يغيِّر القلوب فما أن يُصافحه ويبتسم في وجهه حتى ذهب كله أو أكثره، وبهذا صار السلام وسيلة لفض الخصومات وإذهاب الشحناء من القلوب، فإنْ عجز المرء من لقاء أخيه والسلام عليه أرسل له السلام لدوام الود والحبِّ بينهما.

القطيعة والبُعد يعني أنَّ مجال استثمار الشيطان وجُنده قد فتح لينمو بينهما الشر ومقالة السوء ودساسي الشرِّ مِن الإنس خاصة، ومن نفس الإنسان كذلك بما يخيَّلُ له من الشرِّ ووسوسته الشيطان فيها.

هذا هو بعض جوانب الركن الأول في تمتين الصف الداخلي لأيِّ مجتمعٍ، وهو مع سهولته إلاَّ أنه عظيمُ الجانب، ومَن غفلَ عنه غفلَ عن أمرٍ عظيمٍ، ومَن تفكر فيه وما يقع له في الحياة من أُمورٍ وما يقع في المجتمعات لَعَلِمَ أنَّ هذا السلام هو أحد مُكونات وِراثة الأرض للإنسان، ولذلك كان مما عُلِّمه أبونا آدم عليه السلام في السماء قبل نُزوله إلى الأرض كما في الحديث أنَّ الله لما خلق آدم عليه السلام «..قَالَ: يَا آدَمِ اِذْهَبْ إِلَى أُولئِكَ النفَرِ، فَقُلْ لَهُمْ وَانْظُرْ مَا يَقُولُونَ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله، فَجَاءَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: مَاذَا قَالُوا لَكَ؟ ـ

---

[1] «البخاري»: ٥/٢٣٠٢/ح٦٢٣٧. وطرفه ٦٠٧٧. «مسلم»: ١٦/١٠٠/ح٦٤٨٤، واللفظ له.

[2] «البخاري»: ٥/٢٣١١/ح٦٢٦٣.

[3] «الموطأ»: ٤/٢٦٤/ح١٦٦١. رواه مالك مُرسلاً.